أشعار اللصوص وأخبارهم

القسم الرابع (*)

الأستاذ عبد المعين الملوحي

قدمنا في الأعداد السابقة من المجلة أشعار عشرة لصوص وأخبارهم .

ونقدم في هذا العدد أشعار ثلاثة آخرين هم :

١١ – أبو النشاش النهشلي

١٢ – وبرة بن الجحدر المعني

١٣ – سارية بن زنيم الدؤلي

[١١]

أبو النَّشْنَاشِ النَّهْشَلِيُّ

أخباره وأشعاره

(*) لم يردني حتى الآن مستدرك على الأبحاث السابقة ، ومازلت أرجو أن أتلقى كل ملاحظة لأستطيع تدارك الأخطاء وسد النقائص ، وفاء لتراثنا العربي.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ترجمتـــه :

هو أبو النشناش النهشلي التميمي ، من لصوص العرب كان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين الحجاز والشام . وكان في عصر مروان بن الحكم . لا يعرف اسمه ، أما كنيته ففيها قولان :

١ – ابن النشناش ، ونقله الزبيدي في شرح القاموس .

٢ – أبو النشناش ، وأثبته التبريزي في شرح الحماسة عن أبي العلاء .

قال محقق الأصمعيات ، وأثبت كنيته أبا النشناش : « وما أثبتنا هو الثابت في أصل الأصمعيات ، وهو الذي أثبته ابن جني في المبهـج ص ٢٦ قال : أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد القطان عن أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري قال : كان الأصمعي يقول : هـذا أبو النشناش وأنشد البيت الذي لـه :

« سرت بأبي النشناش فيها ركائبه »

أخبـاره :

جاء في الأغاني ١٢ : ١٧١ (ط . دار الكتب) : أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال :

كان أبو النشناش من متلاصّ بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها . فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة ، ثم أمكنه الهرب في وقت غرة فهرب ، فمر بغراب على بانة ينتف ريشه وينعب ، فجزع من ذلك ؛ ثم مر بحي من لهب فقال لهم : رجل كان في بلاء وشر وحبس وضيق فنجا من ذلك ، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بان ينتف ريشه وينعب . فقال له اللهبي : إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقيده ، ويطول ذلك به ، ويقتل ويصلب . فقال له : بفيك الحجر . قال : لا بل بفيك . وأنشأ يقول :

قال أبو النشناش * :

[١]

١ ـ إذ المَرْءُ لَمْ يَسْرَحْ سَواماً ولم يُرِح
سَواماً ، ولَمْ يَبْسُط لهَ الوجهَ صـــاحبُهْ

---

* تخريج المقطوعة :

اعتمدنا في تخريج المقطوعة على الكتب الآتية :

١ ـ مجموعة المعاني : ١٢٨ ٢ ـ عيون الأخبار ١ : ٢٣٧

٣ ـ الحماسة : رقم ١٠٣ ، ١ : ٣١٧ ـ ٣٢٠ ٤ ـ الأغاني : ١٢ : ١٧١ (دار الكتب) ٥ ـ الأصمعيات : رقم ٣٢ ص ١١٨ . تحقيق شاكر .

وآثرنا الرواية القريبـــة إلى روح الصعلكة ، وتسلسل المعاني قدر الإمكان .

(١) في الحماسة وعيون الأخبار والأصمعيات : « ولم تعطف عليه أقاربه » وفضلت رواية الأغاني ومجموعة المعاني وأثبتها لأن وجدت فيها أنفة ليست في الرواية الأخرى : عطف الأقارب على اللص .

الألفاظ : سرحت الابل : رعت . وسرحها الراعي : أرعاها . السوام : الإبل الراعية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ ـ فَلَلْمَوتُ خَيرٌ للفتىٰ مِنْ حَيـــاتِه
فَقـــيراً ومن مولىً تَدِبُّ عقـــارِبُهْ

٣ ـ ولم أَرَ مِثلَ الفَقْر ضـــاجَعَهُ الفتىٰ
ولا كَسـوادِ اللَّيـــلِ أَخْفَقَ طـــالبُهْ

٤ ـ فَعِشْ مُعْـذِراً أَو مُتْ كَريماً فإنَّني
أَرىٰ المَوتَ لا يَنجو مِنَ المَوْتِ هَـــاربُهْ

---

(٢) في مجموعة المعاني ، والأغاني : ومن مولى تعاف مشاربه . وأثبتنا رواية الحماسة وعيون الأخبار ، والأصمعيات .

الألفاظ : تدب عقاربه : يلقاك بالأذى والسوء . والمولى : ابن العم ؛ والصديق . والبيتان متصلان .

المعنى : إذا لم تكن ذا مالٍ ينفعك ويسر صاحبك فموتك خير لك من الفقر ومن أذى الأقارب وطلب معروف الناس .

(٣) في مجموعة المعاني : صاحبه ، وفي الأصمعيات : مثل الهم .

(٤) في المجموعة ، والأغاني : أرى الموت لا يبقي على من يطالبه .

الألفاظ : معذراً : من أعذر أي قدم عذره وأبداه .

المعنى : عش طالباً للرزق ، فإن لم تنجح فقد قدمت عذرك ، وإن مت وأنت كريم فما من المنايا بد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥ ـ ولو كانَ شيءٌ ناجياً من مَنِيَّـــةٍ
لـكانَ أُثَيْـــرٌ يَومَ جـــاءَتْ كتائِبُهْ

٦ ـ وسائلةٍ : أَيْنَ الرَّحيلُ ؟ وسـائلٍ
ومَنْ يَسْـألُ الصُّعـلوكَ أَيْنَ مذاهِبُهْ ؟ !

٧ ـ مذاهبُهُ أَنَّ الفِجـــاجَ عَريضَةٌ
إذا ضَـــنَّ عنـــهُ بالنَّوالِ أَقَـــارِبُهْ

---

(٥) في الأصمعيات . وجاء في الشرح : أثير بضم الهمزة ، الظاهر أنه أثير بن عمرو الـكوني ، الطبيب الذي دعي لعلاج علي بن أبي طالب طالب حين ضربه ابن ملجم ، بعد أن جمع الأطباء ، وكان أبصرهم بالطب وإليه تنسب صحراء أثير بالكوفة . وانظر خبره في معجـــم البلدان ١ : ١١١ وذلك ما قاله الأستاذ أحمد محمد شـاكر ، ولكن الـكلمة التي بعد ذلك : يوم جاءت كتائبه ، تشبه أن تكون وصفاً لملك أو لصاحب جيوش .

(٦) في الأغاني : أين ارتحالي . وفي عيون الأخبار والحماسة : وسائلة بالغيب عني وسائل .

(٧) تفرد به صاحب الأغاني .

والأبيات ظاهرة المعنى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ ـ ودَاوِيَّةٍ يَهْماءَ يُخْشىٰ بهـا الرَّدىٰ
سَرَتْ بأَبي النَّشْناسِ فيهـا رَكائِبُـهْ

٩ ـ لِيُدْرِكَ ثَأْراً أَو لِيُـدْرِكَ مَغْنَماً
جَزيلاً ، وهذا الدَّهْرُ جَـمٌّ عَجائِبُهْ

[٢]

وقـال * :

٨ ـ في الحماسة : ونائية الأرجاء ، وطامسة الصوى .

وفي عيون الأخبار : وطامسة الأعلام ، مائلة الصوى .

في الأغاني : ودوية قفر يحار بها القطا .

الألفاظ : الداويَّة والداوية : بتشديد الياء وتخفيفها : المفازة البعيدة الأطراف . الهماء : الفلاة التي لاماء فيها ولا علم فيها ولا يهتدى لطرقها .

٩ ـ في الأغاني ليدرك ثأراً أو ليكسب مغنماً ألا إن هـذا الدهر

ومعنى البيتين : رب قفر ضائع المعالم يهلك سالكه قطعتـه لإدراك ثأري من عدو أو لكسب رزقي ، وما أعجب الدهر يقذفني من مكان إلى مكان .

(*) البيتان في الأغاني ١١ : ١٧٠ « دار الكتب » ، ويظهر أنـه قالهما وهو في الحبس ينتظر مصيره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كَأَنْ لَمْ تَرَيْ قَبلي أَسِيراً مُكَبَّلاً
ولا رَجُلاً يُرمى بِهِ الرَّجَوانِ
كَأَنِّي جَوادٌ ضَمَّهُ القَيْدُ بعدَما
جَرى سابقاً في حَلْبَةٍ ورِهانِ

[١٢]

وَبْرَةُ بنُ الجَحْدَرِ المَعْنِيُّ

أخباره وأشعاره

[١]

قال * :

١ ـ نَعَبَ الغُرابُ ولَيْتَهُ لَمْ يَنْعَبِ
بالبَيْنِ مِنْ سَلْمَى وأُمِّ الحَوْشَبِ

(*) لم نعثر له على ترجمة ، والبيتان في الشعر والشعراء ٧٤٤ وقال : وله (لعمرو بن المُسَيِّح الطائي المشهور بالرماية) يقول الآخر . وفي حاشية الكتاب هو وبرة بن الجحدر المعني من بني دغش ـ كما في الطبري ـ ولم أجده فيه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ ـ لَيْتَ الغُرابَ رَمىٰ حَماطَةَ قَلْبِهِ
عَمْروٌ بأَسْهُمِهِ الَّتي لَمْ تُلْغَبِ

[٢]

وقال * :

---

(٢) حماطة القلب : سواده . لم تُلْغَبْ : بالبناء للمجهول . يقال : « ألغب السهم » أي جعل ريشه لُغاباً ، والسهم اللغاب بضم اللام : الفاسد ، والبيت في اللسان ٢ : ٢٣٩ و ٩ : ١٤٦ غير منسوب .

الألفاظ : الرجوان : مثنى الرجا . ناحية كل شيء . ويقصد جدران السجن .

المعنى : يتحسر على أيام حريته ، يوم كان كالجواد يسبق الخيل في حلبات الرهان ، فأصبح مقيداً أسيراً تتقاذفه جدران السجن ولكنه ليس أول أسير تثقله الكبول .

(*) في المعاني الكبير : ٥٩٤ ، وقال الشاعر « وهو وبرة : لص معروف » واللسان « حمض » وقال : فأما ماأنشده ابن الأعرابي من قول وبرة وهو لص معروف ، يصف قوماً ، وأورد البيت ...

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ – على رُؤُوسِهِمُ حُمَّاضُ مَخْنِيَةٍ
وفي صُدورِهِمُ جَمْرُ الغَضا يَقِدُ

[١٣]

ساريةُ بنُ زُنَيْمٍ الدُّؤَلِيُّ (*)

أخباره وأشعاره

حياته : سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الدؤلي في كنانة ...

ذكر الواقدي وسيف بن عمر أنه كان خليعاً في الجاهلية أي لصاً

---

١ – قال ابن قتيبة : ذكر مشايخ يشهدون ، ورؤوسهم مخضوبة بالحناء . فشبهها بالحماض ، وهو أحمر ، وله ثمر أشكل إلى الحمرة .

وفي اللسان (بعد أن أورد البيت) : فمعنى ذلك أن رؤوسهم كالحماض في حمرة شعورهم ، وأن لحاهم مخضوبة . كجمر الغضا ، وجعلها في صدورهم لعظمها ، حتى كأنها تضرب إلى صدورهم . وعندي أنه إنما عنى قول العرب في الأعداء : صهب السبال ، وإنما كنى عن الأعداء بذلك ، لأن الروم أعداء العرب ، وهم كذلك ، فوصف به الأعداء . وإن لم يكونوا روماً . الأزهري : الحُمّاض : بقلة برية تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ، ولها ثمرة حمراء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كثير الغارة ، وأنه كان يسبق الفرس عدواً على رجليه ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وقال العسكري روى عن النبي ﷺ ولم يلقه ، وذكره ابن حيان في التابعين ، وفي ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم مايشعر بأن له صحبة ، وقال ابن عساكر : له صحبة .

وذكره الطبري في تاريخه ثلاث مرات : أولاها أن عمر بن الخطاب دفع لواء فسا ودارِبجَرْدَ إلى سارية بن زنيم عند فتح فارس ، وثانيتها أن سارية خرج مع أهل البصرة الذين وجهوا إلى فارس أمراء على فارس ، وذكره المرة الثالثة في إسهاب في فتح فسا ودرابجرْدَ . قال الطبري :

وقصد سارية بن زنيم فسا ودابجَرْدَ ، حتى انتهى إلى عسكرهم ، فنزل عليهم وحاصرهم ماشاء الله ، ثم إنهم استمدوا ، فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس . فدهم المسلمين أمر عظيم ، وجمع كثير ، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعدوهم في ساعة من النهار ، فنادى من الغد : الصلاة جامعة ! حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها مارأى خرج إليهم ، وكان أريتهم ، والمسلمون بصحراء ، إن أقاموا فيها أحيط بهم ، وإن أرزوا (١) إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد . ثم قام فقال :

(*) مصادر الترجمة والشعر : الطبري ٤ : ٩٤ و ١٧٤ و ١٧٨ — ١٧٩ الإصابة : الترجمة ٣٠٣٤ وذكر في ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم ، وفي ترجمة ذباب بن فاتك والحماسة الشجرية ٢٤٤ ، وفي المصادر التي أشارت إليها الإصابة في ترجمته .

(١) أرزوا : انحازوا ولجؤوا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يأيها الناس ! إني رأيت هذين الجمعين ـ وأخبر بحالهما ـ ثم قال : ياسارية الجبلَ ، الجبلَ ! ثم أقبل عليهم وقال : إن لله جنوداً ، ولعل بعضها أن يبلغهم . ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل ، ففعلوا وقاتلوا القوم من وجه واحد ، فهزمهم الله لهم ، وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم .

ثم ذكر الخبر في رواية أخرى قال :

كان عمر قد بعث سارية بن زنيم الدئلي إلى فسا ودرابجرد فحاصرهم ثم إنهم تداعوا فأصحروا له ، وكثروه فأتوه من كل جانب ، فقال عمر ، وهو يخطب في يوم جمعة : ياسارية بن زنيم ، الجبلَ الجبلَ ! ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب المسلمين جبل ، إن لجؤوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فلجؤوا إلى الجبل ، ثم قاتلوهم فهزموهم ، فأصاب مغانمهم ، وأصاب في المغانم سفطاً فيه جوهر ، فاستوهبه المسلمين لعمر ، فوهبوه له ، فبعث به مع رجل وبالفتح .

وكان الرسل والوفد يُجازون وتقضى لهم حوائجهم . فقال له سارية : استقرض ما تبلغُ به وما تُخلّفه لأهلك على جائزتك . فقدم الرجل البصرةَ ، ففعل ، ثم خرج فقدم على عمر ... ويمضي الطبري في روايته عن غضب عمر حين أخبره بقصة السفط ويرد الرجل محروماً ثم يقول :

وقد كان سأله أهل المدينة عن سارية ، وعن الفتح ، وهل سمعوا شيئاً يوم الوقعة فقال : نعم سمعنا : « ياسارية ، الجبل » وقد كدنا نهلك ، فلجأنا إليه ففتح الله علينا ...

وفي الاصابة روايات كثيرة تتحدث عن الموضوع نفسه ، وجاء في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آخرها ، وقال خليفة : افتتح سارية أصبهان صلحاً وعنوة فيما يقال .

وتوفي سارية سنة ٣٠ هـ .

رحم الله سارية ورضي عنه ، لقد كان من الفئة التي صاغها الاسلام صياغة إنسانية مثالية جديدة ، فاستبدلت بالظلام النور ، وبالضلالة الهدى .

[١]

شعره :

قال سارية بن زنيم الدؤلي يعنف المشركين ويحرضهم على علي عليه السلام (*) .

١ ـ في كُلِّ مَجْمَعِ غَايَةٍ أَخْزَاكُمُ
جَذَعٌ أَبَرَّ على المَذاكِي القُرَّحِ

٢ ـ لِلّهِ دَرُّكُمُ ! أَلَمَّا تَسْتَحُوا ؟
قَدْ يَأْنَفُ الضَّيْمَ الكَرِيمُ وَيَسْتَحي

(*) الأبيات في الحماسة الشجرية (تحقيقنا) ص ٢٤٤

١ ـ الجذع : الشاب . المذاكي : التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والقارح هو الذي كملت أسنانه . والمعنى : لقد أخزى الشاب الفتي الكهول والشيوخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ ـ أَيْنَ الكُهُولُ ؟ وأَيْنَ كُلُّ دِعامةٍ
فِي المُضْلِعَاتِ ؟ وأَيْنَ زَيْنُ الأَبْطَحِ ؟

[٢]

وقال معتذراً إلى النبي ﷺ وكان بلغه أنه هجاه فتوعده * :

١ ـ تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قَادِرٌ
عَلَى كُلِّ حَيٍّ مِنْ تِهَامٍ ومُنْجِدِ

٢ ـ تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي
وَأَنَّ وَعِيداً مِنْكَ كَالأَخْذِ بِاليَدِ

---

٣ ـ ويروى المضلات بدل المضلعات ، والمضلعات ج مضلعة أي الأمور الثقيلة أو القوية الشديدة . ودعامة القوم : سيدهم .

(*) وردت الأبيات في الاصابة في ترجمة سارية بن زنيم رقم ٣٠٣٤ وقال : وقد تقدم في ترجمة أسيد بن أبي إياس أن هذه الأبيات له ، والله أعلم . وتقدم أيضاً بعض هذه الأبيات في ترجمة أنس بن زنيم ... وجزم عمر بن شبة بأن البيت ١١ لأنس .

١ ـ تعلم : بمعنى اعلم .

٢ ـ في الاصابة : بالأخذ باليد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ ـ تَعَلَّمْ بأَنْ الرَّكْبَ إلا عُوَيْراً
هُمُ الكاذبونَ المُخْلفو كُلِّ مَوْعِدِ

٤ ـ وَنُبِّي رَسُولُ اللهِ أَنيّ هَجَوْتُهُ
فَلا رَفَعَتْ سَوْطي إليَّ إذَنْ يَدي

٥ ـ سِوى أَنَّني قَدْ قُلْتُ وَيْلُ أُمِّ فِتْيَةٍ
أُصيبوا بِنَحْسٍ لا يُطاقُ وأَسْعُدِ

٦ ـ أَصابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ
كِفاءً فَعَزَّتْ عَوْلَتي وتَجَلُّدي

٧ ـ ذؤيبٌ وكُلْثُومٌ وسُلْمى تَتابعوا
أُولئكَ إنْ لا تَدْمَعِ العَيْنُ أَكْمَدِ

٨ ـ على أَنَّ سُلمى ليسَ فيها كمثلِهِ
وأُخْوَتِهِ ، وهَلْ مُلوكٌ كَأَعْبُدِ ؟

---

٤ ـ الشطر الثاني مثل الشطر الثاني في بيت النابغة « الديوان ٢٠ » :

ما إن نديت بشيء أنت تكرهه إذاً فلا رفعت سوطي إلى يدي

والظاهر أن هذا المعنى مثل متداول .

٦ ـ في الإصابة : كفؤا ، وهو تصحيف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٩ ـ وإنِّيَ لا عِرْضاً خَرَقْتُ ولا دَماً
هَرَقْتُ فَذَكِّرْ عَالِمَ الحقِّ وأقْصُدِ

١٠ ـ أأنْتَ الذي تَهْدي مَعَدّاً لدِينها ؟
بل اللهُ يَهْديها وقالَ لك : اُشْهَدِ

١١ ـ فما حَمَلَتْ مِنْ ناقةٍ فوقَ رَحْلِها
أبَرَّ وأوْفى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ

عبد المعين الملوحي

* * *

ـ للبحث صلة ـ

١١ـ ورد في الإصابة : قال المرزباني : أصدق بيت قالته العرب هذا البيت.

ملاحظة : نلاحظ خلو أشعار زنيم من ذكر اللصوصية ، ولعل هذه الأشعار قد أصابها النسيان أو التناسي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net